واصراري على نقد التوجه العروبي ليس الا محاولة للبحث عن التحول الذي سيجعل من الانسان العربي التقليدي ، انسانا ــ **عربيا أم لا** ــ ولكنه اشتراكي . ومن الامة العربية ، التي تضيع ملامحها بين تناثر دولها المصطنعة ، أمة جديدة ــ **عربية أم لا** ــ ولكنها اشتراكية ، متحدة أم لا ، ولكنها اشتراكية . هل سيكون التحول طويلا ؟ ربما ولكنه بدأ . فقد شرع شبان وشابات لا يدينون الا بالقليل الى التقاليد **والى أوروبا** ، في نفض غبار القديم .

يقال لي أن الثوري التونسي حساس للثورة الفلسطينية أكثر منه مثلا للثورة الفيتنامية . وهذا غالبا صحيح . فهذه الثقافة المشتركة قد تكون ايجابية اذا عملت في اتجاه تضامن ثوري ، ولكنها خطيرة اذا تحولت الى عاطفية لا علاقة لها باحتياجات الثورة . ليست الخطورة في العروبة كثقافة مشتركة ، ولكنها في كون العديد من العرب يعتبرونها **جوهرا** essence . جوهرا ، يشكل لب « الكائن العربي » ، باستثناء الآخرين .

واذا كانت الثقافة عنصر تمييز فهي ليست تمييزا جذريا . أوليست النظرة السائدة للعروبة كجوهر حائلا محتملا بين الحركة الفلسطينية وازدهار ثقافة فلسطينية مميزة ؟ وحتى اذا كان التونسيون أكثر تعاطفا مع الثورة الفلسطينية منهم مع ثورات ايرلنده الشمالية أو فيتنام ، فالفلسطيني (والفدائي على أي حال) كما رايته في قواعد الاردن ، يبدي الحماس نفسه وحب استطلاع اكبر نحو ثورات لا تجري في الفلك العربي . وربما كانت هذه الملاحظة دليلا على ان الثقافة العربية أقل شمولا مما يقال ، وان الفدائي بدأ في الانطلاق منها .

اذا كانت الثورة ، باختصار ، هي القضاء على نظام أو واقع سياسي مرفوض ، واستبداله بآخر ، يتفق أكثر مع مصالح الجماهير الشعبية ، فلا ريب ان الثورة الفلسطينية لم تحدث لانها لا تستهدف ابدال نظام قائم ، لان الوعي القومي قائم مع افتقاد الارض ، ولان من الصعب تحقيقها لصعوبة تغيير نظام الشعب الفلسطيني الذي يعيش في مخيمات يسري عليها بتفاوت نظام الدولة القائم فيها . ولكن استعمال لفظة الثورة ممكن بالمعنى التالي : ان تجذير الوعي القومي يترافق مع اتضاح وتطوير فكرة نظام **آت** ليسري فعلا على الشعب . ولكن هذا النظام الذي يتفاعل عند بعض العقول السياسية الفلسطينية ، لم يفرز بعد ، على ما أعتقد ، فكرا ثوريا منطلقا من الخيالي لينتهي في « نظام جديد » مطبق فعلا من قبل الجماهير الفلسطينية ، ولا حتى متفاعل معها بشكل يسمح للوعي الثوري ان يطلق الجماهير في استكشاف حركة تحريرها الخاصة وتنفيذها في الدول التي تؤوي المخيمات .

اذا كانت حدة الضرورة الثورية ستستمر بالدوران في حلقة مفرغة ، اي خارج اي مجال تطبيق حقيقي ، الن تتعرض الثورة من جراء ذلك لخطر المثالية ؟ واذا كانت الحال كذلك ، فما هي السبل لتفادي الخطر ؟

أعلم ان الامر لم يبلغ هذه الخطورة . ذلك لان الثورة الفلسطينية ، اذا اردنا غض الطرف عن كونها تطرح نفسها **كنظام للمستقبل** قادر على حكم الناس ، هي ايضا وقبل كل شيء ، من خلال العروبة التي انطلقت منها ، اشارة أو ، اذا شئنا ، مثال . والقول انها تنطلق من العروبة يعني بالتأكيد انها تتخطاها . وقد لاحظتم ، دون شك ، ان هذه الحركة اللولبية او الحلزونية التي تسير بسكان مقاطعة عثمانية نحو تكوين وحدة حقيقية ، دون أية ركيزة أرضية ، انما هي انعكاس للحركة اليهودية التي أدت الى الصهيونية . واعني بالانعكاس الصورة المقلوبة . فهاتان الولادتان النقيضتان تعطيان على مدى تطورهما صورتين نقيضتين : فاليهود الذين أتوا الى فلسطين وحملوا اسم « اسرائيليين » وفي جعبتهم أفكار اشتراكية مبهمة ، عادوا بسرعة الى تاريخ قديم لا